حديث حول الشعر

لجاد كوكتو و بيير لاجارد

بقلم الأستاذ صلاح الدين المنجد

[هذه محاضرة طريفة ، ولكنها ليست كالمحاضرات في شيء ، إنما هي أدنى إلى التمثيل منها إلى المحاضرات . قام بها ملك الأحاديث الصحفية « بيير لاجارد » ، مع الشاعر الكبير « كوكتو » في قاعة « الأتال » في باريس في السنة الحالية ، وهنا يسأل الصحفي ، الأديب الشاعر ، فيجيبه على سؤاله أمام الناس ...] « المنجد »

بيير لاجارد يتكلم :

سيداتي ، آنساتي ، سادتي :

هذا حديث طريف ، سنحاول أن نسمعكموه ، وهو يشاكل التمثيل في كثير من نواحيه . سأدفع شاعرنا « كوكتو » إلى الكلام عن الشعر ، بعد أن فرّ من باريس واعتزل في البروفانس . إنه لم يعدّ الأمر عدته ، ولم يحبر الصحائف ، ولكنه سيسمعكم صوته الإنساني المتصعد من أعماق القلب ...

جاد كوكتو

قبل أن أسلم مقادتي لهذا الصحفي البارع ، أريد أن أحدثكم عن الصحافة : إنها مهنة من الطراز الأول ، ولكنها تتطلب جهداً وذكاء ، لأن صاحبها يمسي لأن يشق المرء نصفين ليستطلع خفاياه ، والمرء يحاول الصمت أمام هؤلاء ذكاء أو كسلاً ، ولكن مهما حاول المرء أن يفلت من الصحفيين ، تبعوه وأفسدوا عليه هدوءه . إن هذه المهنة هي صيد للانسان .

أما الشعر الذي سأحدثكم عنه ، فهو جني يستطيع أن يتخذ أشكالاً شتى ... لقد حسب « ليونارد دفانسي » أن الشاعر من ينظم لا من يهز ، فنظم من الشعر أبياتاً ليكون شاعراً ، ولكنه كان في غنى عن تلك الكلمات الميتة التي صاغها ... فقد كان شاعراً في فنه ، وشاعراً في لوحاته ... ولقد كان شعره الذي أودعه الصور والنهاويل ، أروع من شعر الشعراء . سألوه يوماً : أي فرق ترى بين المصور والشاعر ؟ ... فأجابهم : إن المصور شأناً لا يبلغه الشاعر . سلوا عاشقاً أذبله الوجد ، ولاعه الحنين ، ماذا تود ؟ أأبياتاً من الشعر الرقيق تمجيداً لحبك ، أم صورة ساحرة له ؟ ... يجيبكم : أود صورتها .

ولقد حدث بعد « رامبو » أمر ذو شأن : فقد كان في فرنسة قبل هذا الشاعر شعر ... ولكن رامبو أطلق الروح الشعري ، وكان لا يعنى إلا بالروح ...

وأعني أن الشعر قد أصبح بعده مهنة ، فقد كان لا ينظم إلا إذا أثر فيه شيء ... أما بعده ، فقد أصبح الشعر تحت الطلب !

أنا أعجب « بموليير » . إن شعره هو مصدر شعرنا الحديث . لقد كان « موليير » صحفياً ، يؤلف المجلات ، ولكنها مجلات رائعة عميقة سريعة . وإن قصيدته « أورونت » هي نبع ثرّ لشعرنا اليوم . ولو لم تكن أنشودة الأورونت لما كان « مالارميه » ولما سمعنا أهازيج أولئك الشعراء الذين يسكروننا بروائعهم

لقد بعث فينا « موليير » الحياة ، وجعلنا نتذوق أشياء كثيرة . كنت في « مونتارجيس » . فقرأت « المتشائم » عشرين مرة ، وقرأت « بريتانيكوس » عشرين مرة . لأن راسين وموليير صانعا ساعات ، فإذا أردت النظام والدقة فالتمسهما عندهما

لم تكن قصيدة « الأورونت » قط رديئة ، كما قالوا ، وإنما كانت رائعة جميلة ، فيها من الشذوذ قليل ، ولكن تقوا أن من هذه القصيدة أتى الشعر الحديث

وتستطيع يا صديقي أن تسألني الآن عما تشاء ...

بيير لاجارد

رأيتم أن من العبث إعداد أسئلة لهذا الشاعر ، فلقد حدثكم عما كنت أريد أن أسأله عنه . ولكن ... ما هو الشعر يا صديقي

جاد كوكتو

نحسن الصنع إن سألتني عما تشاء . أما الشعر فهو دارة لا يستطيع أن ينفذ إليها إلا رهط قليل . ولن تجدوا وسطاً أرستقراطياً أشد إحكاماً من الشعر . على أنه يجب أن تعلموا أمراً ، ذلك أن الشاعر إذ ينظم قصيدة فيها الشعر الصافي وحده ، لا يجد لقصيدته هذه رواجاً ، لأن الخاصة وحدها هي التي تفهمها ، وكذلك لا يجد الشعر الواضح المعاني مايلاقيه الشعر الدقيق الفكر . إن نصيب الأول يكون نصيب الزهور المتفتحة التي تذبل سريعاً ؛ أما الثانية ، فاعلموا ... إذا أردت أن تهدي إلى سيدة أو آنسة أزهاراً ، إنك تدهشها إذا أرسلت إليها الورد المتفتح ، ولكنه يذبل ، أما يجدر بك لتذكرك دائماً أن ترسل إليها براعم الورد لتتفتح بين يديها ... !

وأنا أعتقد أن القصائد التي لا تحدث ضجة عند نشرها هي التي تخلد وتبقى . هذا بودلير ... أخرج للناس روائعه ، فصدفوا عنها ، لأنهم لم يفهموها ، ولكنها أصبحت من بعد حديث الناس جميعاً ... أما هو فكان ينظر إليها كأنها أزاهير وحشية في بساتين نائية مجهولة

وربما أصاب الناس في تقديرهم القصائد أحياناً . ربما سمعتموهم يقولون عن شاعر كبير : إنه ليس بشاعر حق ، أو عن مطرب بارع : إنه لا يطرب . ذلك لأنهم أحسوا أن شعر ذلك الشاعر لا يهز ولا يثير ، ولأن ما أبدعه متقلب ضعيف

إن الشعر يرفرف على العالم من كل نواحيه ، ولكن علينا أن نصطفي ونظهر . فإن في الصحف شعراً ، ولكنه غير منظوم ؛ وإن في الحوانيت شعراً ولكن لا يدركه إلا القليل . ألا تنظرون إلى تلك النقوش وتلك الخطوط التي تزدان بها الصحف ؟ ألا ترون تلك الأشكال الرائعة ، وتلك التماثيل العارية التي ظهرت في معارض البيع ؟ إن في ذلك كله شيئاً يبهج النفس ، شيئاً اسمه شعر

الحياة ملأى بالشعر يا سادتي . إن مرأى الطائرين الذين تحترق بهم الطائرة ، فيضطربون بين ألسنة اللهب ، ويموتون على زئير النار ، وهم يستمعون بالمذياع إلى رقص الفتيات وضحك الزنوج في مسارح مونمارتر لملوء بالشعر . وإن منظر تلك الأم التي أحست الجوع فالتهمت تخذ ابنها الصغير لشعر أيضاً ، ولكنه شعر مخيف مجرم يثير الجمهور لأنه يثير المواطف . إن المرء ليستطيع يا سادتي إقامة معرض للشعر يلاق أعظم نجاح وأكبر تأييد

بيير لوميار

أنت لا تريد أن تحدد الشعر بالنظم ، ولهذا كان ما أخرجته للناس شعراً كله ، ولكنه شعر منثور . لقد صنفت رواياتك ، مثل «توماس» و « الأطفال الأشرار » وغيرها وسميتها « الشعر الروائي » وعند ما تخرج مجموعة من الرسوم الرائعة ، أو كتاباً مثل «سر المهنة» تضعه تحت اسم « الشعر التصويري » أو « الشعر النقدي » فهل هناك صلة بين هذه الأنواع كلها أو أن في نفسك رباطاً يربط بعضها ببعض ؟

جان كوكتو

كل ذلك شعر ولو لم يكن موزوناً مقفى . وأنا شاعر ، والشعر مهنتي ، كما أن للنجار مهنة وللحداد صنعة . لكني لا أحب ما كان فناً منظماً . لقد حاولت أن أحب ما هو منظم فني ، ولكني لم أستطع الشاعر طليق ، والفنان لا يحب النظام . وإن أولئك الشعراء الذين يودون أن ينيروا كل جزء من أجزاء ذاتهم ، ثم يطلبون فوق ذلك نوراً وأشعة طول حياتهم — لمظاء . إنهم كجبته العظيم . هم يمشقون النور ، حتى في اللحظة التي تعرج روحهم فيها إلى السماء ... ولكنهم قليلون

دع الشاعر ... إنه يستمد وحيه من كل شيء ... من كلب حقير ومن ملك كريم . إنه يسمى ويفتش لأنها مهنته ...

— وهل الشعر مهنة ؟

— نعم مهنة ، ومهنتي قول الشعر

— وهل تستطيع أن تقول الشعر متى شئت ؟

— نعم ، أقول الشعر متى أشاء ، كما يصنع النجار النضد متى شاء

— إذن لست بشاعر ولكنك ناظم

— إن هذا المعنى للشعر الذي يدل على أنه الوحي الروحاني ، لم يعرف إلا بعد رامبو . الدنيا مليئة بالشعر ، ولست عبداً ، حتى أنتظر الوحي الروحي ...

إن لنا في الشعر أساتذة ، هم شعراء من نوع خاص ، لا ينظمون إلا وهم في كهوفهم ، ولا يعرفهم إلا قليلون ، منهم رامبو ، ومالارميه ورايموند روسل ... هؤلاء هم كنوزنا التي نفخر بها . هؤلاء هم الشعراء حقاً ، منهم نستلهم شعرنا ، وعليهم نتعلم كيف ننظم وكيف نقول .

صوت الدنيا المنجم

بعد الفراق

للدكتور ابراهيم ناجي

أجل أهواكِ أنتِ مُنى حياتي ... وأنتِ أحب من بصري ومعى
وهل أنساكِ ؟ كلا ، كيف أنسى ... هوىً قد كان إلهامي ونبضي !
لبستُ من التصبُّرِ عنكِ درعا ... فها أنا تنزع الأقدار درعي
وها أنا لا أداري عنك أمرا ... عرفتِ محبتي ورأيتِ دمعي
وهل يُخفي التنكرُ ألفَ جرحٍ ؟ ... وهل يُخفي التستر ألفَ صدع ؟
تلاشت قوتي وغدا فؤادي ... كأن خفوقه خلجات نزع
أبشره فيرقص في ضلوعي ... وأنظر سود أيامي فأنعى
وقد نضب الخيال وغاض طبعي ... ومات على حياض اليأس زرعي
أجرجرُ وحدتي في كل حشد ... وأحمل غربتي في كل جمع

ناجي